مهرجان الجزيرة الدولي الثاني للانتاج التلفزيوني يعلن عن:

ولادة صندوق «الجزيرة» لرعاية الانتاج التلفزيوني المستقل واطلاق قناة «الجزيرة» الوثائقية

الدوحة ـ «القدس العربي» ـ من عدنان حسين أحمد:

لم يمرّ على هذا المهرجان الوليد سوى عام واحد، فقد شهد عام 2005 انطلاقته الأولى بمبادرة من قناة «الجزيرة» ذائعة الصيت، والمثيرة للجدل في آن واحد. وقد جاء في كلمة الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني، رئيس مجلس ادارة شبكة الجزيرة الفضائية، في دليل المهرجان الذي صدر في الدورة الأولى حيث قال» ان مهرجان الجزيرة للانتاج التلفزيوني هو خطوة جديدة في مسيرة الانفتاح على الاعلام العربي والعالمي بمؤسساته وأفراده، وهو فسحة تقدمها قناة الجزيرة للمبدعين، يلتقون فيها، ويتحاورون على طريق بناء مدرسة اعلامية عربية تحترم العقلية، وتحتفل بالابداع». ويبدو أن تركيز المهرجان منذ ولادته كان على الانتاج التلفزيوني، أكثر منه على الانتاج السينمائي. ومن هنا يأتي تشديد راعي المهرجان على أهمية الانتاج التلفزيوني الذي حدد ملامحه بالقول «ولما كانت الصورة أساس العمل التلفزيوني وأصل تميّزه، فان صناعة الصورة في أمسّ الحاجة عربياً الى مزيد من التشجيع والدعم. وانني على يقين بأن كثيراً من المنتجين والمنتجات من الشباب سيرسمون ملامح بديعة لانتاج تلفزيوني متميز».. وفضلاً عن عرض الأفلام التسجيلية، والتحقيقات الصحافية، والتقارير الاخبارية، والتنويهات، فقد تمّ تكريم ثلاثة اعلاميين ومخرجين عرب ضحوا بحريتهم من أجل الحفاظ على الشرف المهني وهم الاعلامي المعروف تيسير علوني الذي غيّبته السلطات الأسبانية بحجه «صلته بتنظيم القاعدة»، والاعلامي ذيب حورانّي، مراسل تلفزيون «المنار» في رام الله، والمعتقل في سجن اسرائيلي حالياً، والمخرج اللبناني برهان علوية الذي أنجز عدداً من الأفلام الروائية والوثائقية من بينها فيلم «كفر قاسم، ولا يكفي أن يكون الله مع الفقراء، وبيروت اللقاء، وسد أسوان» وغيرها من الأفلام. وقد جنح المهرجان منذ اطلالته الأولى نحو المخرجين المستقلين، وشركات الانتاج، وجماعة الأفق الجديد الذين يتبنون الأساليب البصرية التجريبية، وهذا ما يفسّر لنا سر افتتاح المهرجان الأول بفيلم «كرة وعلبة ألوان» للمخرجة الفلسطينية الشابة ليانا صالح التي لم تجتز عامها السابع عشر.

تواصل.. هدف المهرجان وشعاره

اختار القائمون على المهرجان كلمة «تواصل» شعاراً للمهرجان، وهدفاً أساسياً من أهدافه العديدة. فالفعل وَصَلَ، يَصِلُ، وَصلاً، وصلةً، تعني لأمَةً وجَمَعَهُ، ومُواصَلةُ الشيء دَوامُهُ، أو المواظبةُ عليه من غير انقطاع، والوَصْلُ ضدُ الهجران، والتواصل ضد التصارُم. والمراد بالمعنى الحقيقي لهذا الكلمة هو التواصل مع الآخر، وعدم هجره أو مقاطعته أو مجافاته لأي سبب من الأسباب. لهذا فقد شهدت الدورة الثانية لمهرجان الجزيرة للانتاج التلفزيوني توسعاً في محاوره الرئيسة، اذ اشترك في هذا المهرجان 145 فيلماً تسجيلياً بضمنها التحقيقات والتقارير الصحافية والتنويهات، أما الأفلام المكرّسة لحقل «الأفق الجديد» فقد بلغت لوحدها «250» فيلماً تجريبياً، غير أن هذه الأفلام لم تجد فرصة للعرض، ولم يشاهد الجمهور الا ربعها تقريباً، اذ تمّ عرض «34» فيلماً من الأفلام المُرشحة للمسابقات، و«14» فيلماً للعروض الجانبية، و«9» من انتاج الجزيرة، و«15» فيلماً من محور الأفلام الايرانية، و«8» أفلام من العروض الفرنسية، و«6» أفلام من العروض الصينية، و«5» أفلام من عروض أمريكا اللاتينية، و«3» أفلام من العروض الفائزة في مهرجان الجزيرة الأول. وهي بمجموعها «94» فيلماً توزعت على أربع صالات عرض وهي «سلوى 1» و«سلوى 3» و«المجلس» اضافة الى صالة «الدفنة» التي جرت فيها وقائع حفلي الافتتاح والاختتام، بينما احتضنت قاعة «الريّان» الندوات الأربع يومي 28 و29 آذار (مارس) الماضي. وقد نشر خبر وصول لجنتي التحكيم العربية والأجنبية قبل أسبوع من بدء فاعليات المهرجان لكي تتمكن من مشاهدة هذا الكم الكبير من الأفلام المشاركة في المسابقات، بما فيها مسابقة «الأفق الجديد» التي يعولُ عليها المهرجان. والغريب أن لجنتي التحكيم قد بلغ عددهما «28» حكماً، أي بواقع «14» حكما لكل لجنة! فقد تألفت لجنة تحكيم الأعمال العربية من ثمر أكرم النمر، د. حسن حبيبي، خالد محمد الدائمي، خليفة المريخي، ديانا فارس، رويدا الجرّاح، د. سمير فريد، علي ضاهر، محفوظ عبد الرحمن، محمد محسن، مصطفى أبلو علي، مي مصري، نور الشريف، و وليد أبو بكر. أما لجنة تحكيم الأعمال غير العربية فقد تألفت من ليليان بلاسير، مينوتي بوشيو، سيلفيو دا ـ رين، فرناندو دومينغويزغنتر هانفغارن، رود هَي، روبرت ريختر، أوفيديو سالازار، خوسيه شانسيز، كامران شيردل، بوب فيسر، د. ماجدة واصف، لَي ينغ، وهالة زريقات. وقد استغرب الكثير من المشاركين في المهرجان ضخامة هذا العدد الكبير الذي يصعب معه التوفيق بين وجهات النظر المختلفة أساساً اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن بينهم نقاداً، وأكادميين، ومخرجين، وممثلين مختلفين في الأذواق والأمزجة والثقافات والمرجعيات.

حفل الافتتاح الخاطف

بدأ حفل الافتتاح بكلمات معبرّة دبّجتها المذيعة الجزائرية القديرة فيروز زيناني التي كانت تشتق الكلمات من مفردة «تواصل» وتربطها بالابتسامة التي تمحوّر عليها فيلم الافتتاح «درس خارج المنهاج: أخبرنا عن حياتك» للمخرج الياباني كيسوكي سايتو. ثم تلتها كلمة راعي المهرجان، الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني، والتي قرأها نيابة عنه السيد خلف المناعي، وكانت مختصرة جداً بحيث أنها لم تجتز المئة كلمة! أما مفاجأة المهرجان فقد فجّرها الأستاذ، وضاح خنفر، المدير العام لشبكة الجزيرة الفضائية، ورئيس المهرجان، حينما أعلن عن «صندوق الجزيرة لرعاية الانتاج التلفزيوني المستقل» وقد شدّد على ضرورة تبني المواهب الشابة من السينمائيين الذين ينحون منحىً تجريبياً مختلفاً عن السائد والمألوف، ودعا الى دعمهم، وتشجيعهم ومؤازرتهم بكل السبل الممكنة. وضمن وقائع حفل الافتتاح تم تكريم المصور الصحافي سامي الحاج، المسجون حالياً في معتقل غوانتانامو منذ عام 2001، وهو يحمل الرقم «345» وقد مضى على اعتقال هذا المصور الصحافي أكثر من «1562» يوماً حتى ساعة انطلاق المهرجان من دون ذنب يُذكر، وقد كان يعمل مع فريق الجزيرة في تغطية أحداث أفغانستان، وعند انتهاء مهمته ذهب الى باكستان حيث أُعتقل هناك، وسُلّم الى القوات الأمريكية، ولحد الآن لم تعرف عائلته، ولا حتى قناة الجزيرة التي يعمل لمصلحتها السبب الحقيقي الذي يقف وراء قصة اعتقاله التي طالت، بينما تنتظره زوجته آيكول اسماعيلوف «أسماء» وابنهما الوحيد محمد. وفي لفتة كريمة من قناة الجزيرة تمّ تكريم السيدة أسماء بدرع قناة الجزيرة وسط تصفيق حاد من قبل الجمهور الذي اكتظت به قاعة «الدفنة» وجلهم من المخرجين والمنتجين والصحافيين والفنانين، وبينهم العالم المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء، والذي أضفى على المهرجان نوعاً من الألق الكبير بعظمة الابداع العلمي. أما ختام حفل الافتتاح فكان من نصيب الفيلم الياباني «درس خارج المنهاج: أخبرنا عن حياتك» للمخرج الياباني كيسوكي سايتو، وهو يتحدث عن المصور الفوتوغرافي هيرومي ناغاكورا الذي يعمل في المناطق الملتهبة التي تشتعل فيها الحروب، وتتأجج فيها النزاعات، ويذهب ضحيتها الناس البسطاء. غير أن تعاطيه مع الرعب المتواصل، وتجاربه مع المشاهد الفظيعة جعلته يؤمن بأن الابتسامة هي الخطوة الأولى نحو السلام. ويعتقد أن الابتسامة تعبّر عن شجاعة الكائن البشري النبيل، كما تكشف عن الأمل الذي تنطوي عليه نفوسنا حتى عندما نواجه أحلك الظروف. كان الفيلم مؤثراً وقد لامس قلوب المتفرجين، وهزّ مشاعرهم الانسانية.

ندوات

خصص القائمون على المهرجان أربع ندوات توزعت على مدى يومي 28 و29 آذار (مارس) ففي يوم 28 آذار (مارس) كانت هناك ندوتان، الأولى بعنوان «الفن التسجيلي: الواقع والطموح.. المشاكل والحلول» وقد حاضرت فيها أربع شخصيات سينمائية واعلامية وهم الصحافي أسعد طه، والمخرج جان شمعون، والمتخصص بالاتصال والالكترونيات رائد عثمان، والناقد سمير فريد، وتغيّب المخرج الأردني محمود المساد، وقد أدارت الندوة المخرجة المصرية نجوى محروس. وقد أثار المحاضرون سؤالاً مهماً مفاده: ما هي الحواجز التي تقف بيننا وبين طموحاتنا الى خلق صناعة متطورة في هذا المجال تواكب فيه الحاجة والعصر؟ وهل أن العائق هو عائق اقتصادي، أم هو نقص في الكفاءات، والعقول المبدعة، والأيدي الخبيرة، أم أن هناك أسباباً لا نعلمها؟ أما الندوة الثانية فقد كانت بعنوان «الصناعة التسجيلية: تطلعات مستقبلية» وقد شارك فيها كل من بول جيبس، أغوستينو ايموندي، وريكاردو لوبو، وهيدكازو سوزوكي، ولو جينو، وقد أدارها الاعلامي المعروف عارف حجاوي. وقد تمحورت هذه الندوة حول الانتاج التلفزيوني الذي أصبح صناعة لها قواعدها وأهدافها. وتضيف الى المجتمع قيماً ثقافية وتربوية وترفيهية تدرّس الحياة وتصنعها. كما ركز المحاضرون على اسئلة من قبيل: ما هو واقع هذه الصناعة، وما هي آفاقها، وكيف تحقق وجودها على الساحة، وما هي تطلعاتها المستقبلية؟ أما الندوة الثالثة فقد انضوت تحت عنوان «الطريق الى التوافق.. الانتاج المشترك» حيث ساهم فيها كل من يحيى بركات، وغاليري غايارد، وكوليت نوفل، وتاكيهيكو كوسابا، ونجلاء رزق، ولي ينغ، وقد أدارها الاعلامي عارف حجاوي أيضاً. وقد طرح المحاضرون سؤالاً مهماً مفاده: هل يمكن أن نعمل سوياً؟ واذا كان ممكناً فما هو شكل هذا التعاون؟ وما هي أفضل الطرق للوصول الى هدف يتحقق؟ واذا كان هذا غير ممكن فكيف نعرّف المشاكل، وكيف نحلها؟ أما المحاضرة الرابعة والأخيرة فقد كانت بعنوان «الصناعة السينمائية في دول الخليج العربية» التي يرى الكثيرون في أنها اطلالة لنماذج فردية حاولت خوض غمار التجربة مثل تجارب محمد السنعوسي، خالد الصديق، وبسام الذوادي. وقد توقف المحاضرون عند أبرز الاشكاليات التي تعاني منها السينما الخليجية. والغريب أن بعض الندوات أعادت طرح اسئلة قديمة عفا عليها الزمن من قبيل الفرق بين الفيلم التسجيلي والوثائقي؟ فبعضهم يرى أن الفيلم التسجيلي هو سرد للواقع كما هو محدد، أما الوثائقي فهو تجميل هذا الواقع، ويمنح المبدع هامشاً من الحرية بغرض الابداع أو اثرائه. وذهب بعض آخر منهم الى أن السينما التسجيلية هي لما يُصنع اليوم، بينما التوثيقية هي لما يُصنع للمستقبل. أما المحاضرون الأجانب فقالوا: لا فرق بين المفهومين لدينا، وأن كلمة «Documentary» تعني الفيلم التسجيلي الذي سيصبح وثيقة في المستقبل. أما ما جاء في دليل المهرجان فيؤكد أن الفيلم التسجيلي «هو عمل ينقل صورة عن الواقع بأسلوب تقنية الفيديو أو السينما ولا تزيد مدته على 60 دقيقة».. واللافت للانتباه أن المحاضرين لم يتوقفوا عند مفاهيم من قبيل التحقيق الصحافي، والتقرير الاخباري، والتنوية، والتي احتلت مساحة واسعة من المهرجان. فالتحقيق الصحافي غالباً يعالج قضية اجتماعية أو سياسية ويحلل جوانبها المختلفة ويربط بين أجزائها ولا تزيد مدته على 60 دقيقة. أما التقرير الاخباري فهو ينقل صورة واضحة عن حدث في مدة لا تزيد على 7 دقائق. في حين أن التنويه يروّج لفكرة أو لقناة تلفزيونية أو لبرنامج معين لا تزيد مدته على دقيقتين. ولم تحظ هذه المصطلحات بالاهتمام ذاته الذي حظي به الفيلم التسجيلي.

قناة الجزيرة الوثائقية

لا بد من الاشارة الى أن المهرجان قد وقع في بعض الهفوات، وكان أغلب هذه الهنات بسيطة ويمكن تفاديها. ففي دليل المهرجان الأنيق في طباعته واخراجه كانت المعلومات المدرجة الى جانب اسم الفيلم قليلة، ومبتسرة، ولا تفي بالغرض المطلوب. اذ اقتصرت المعلومات على اسم الفيلم، والجهة المشاركة فيه، ومدته، واسم المخرج أحياناً، فيما غابت السيرة الذاتية والابداعية للمخرج، كا غابت المعلومات الأخرى التي تتعلق بكاتب السيناريو، والمونتاج، والموسيقى، والتصوير.

كما تكررت الأخطاء ذاتها في الكتيبات الأخرى التي طُبعت الى جانب الدليل. ولو تجاوزنا الهفوات «التقنية» في الطباعة، فان المنجزات الأخرى التي فاجأتنا بها الجزيرة كثيرة ولعل أبرزها قناة «Alja-zeera International» وهي أول قناة اخبارية عالمية باللغة الانكليزية، وسيكون مقرّها الدائم في الشرق الأوسط. وسوف تبدأ بثها في ربيع 2006 وبمنظور اعلامي متميّز. كمل سيبدأ مركز الجزيرة للبحوث والدراسات أولى خطواته في هذا العام أيضاً، وسيضم فريقاً كبيراً من الباحثين والدارسين المتفرغين.

ولعل الخبر الأكثر اثارة بالنسبة للمشاركين في مهرجان الجزيرة الدولي الثاني للانتاج التلفزيوني هو اطلاق «قناة الجزيرة الوثائقية»، وبذلك ستكون هذه القناة هي أول قناة وثائقية من نوعها في العالم العربي. وستقدم لمشاهديها طيفاً واسعاً من الأفلام الوثائقية ذات الجودة العالية، تتناول بالتحليل المعمق القضايا السياسية والتاريخية والعلمية والفنية والسياحية. ومن المؤمل أن تبث هذه القناة برامج من انتاج الجزيرة فضلاً عن برامج لمنتجين عرب وعالميين.

حفل الاختتام وتوزيع الجوائز

أما بصدد جوائز المهرجان فقد توزعت الى قسمين، الأول يشمل الأفلام العربية، والثاني الأفلام الأجنبية. وقد جاءت النتائج كالآتي، اذ أسندت الجائزة الذهبية للأفلام التسجيلية التالية: «مكان اسمه الوطن»، وهو من انتاج شركة الأسطورة للانتاج الفني في مصر، واخراج تامر عزت. و«باكستان 6، 7»، من انتاج قناة الجزيرة للأطفال في قطر، و«أرض النساء» للمخرج اللبناني المستقل جان شمعون. أما الجوائز الفضية الثلاث فقد أسندت الى ثلاثة أفلام وهي «علكة ملعونة» للمخرج العراقي عمار سعد، و«شجرة الحبة الخضراء» للمخرج العراقي أيضاً هزار خورشيد، و«رايتشيل .. ضمير أمريكي» للمخرج الفلسطيني المستقل يحيى بركات. بينما ذهبت الجوائز البرونزية الى «بصمة مكان» لشركة لحّام للانتاج الفني في سورية، وهو من اخراج أيهم اللحام. و«البريء» لقناة النيل للأخبار، اخراج ريهام رمضان، و«جميل شفيق» للمخرجة المصرية المستقلة علية البيلي. أما الجوائز الخاصة فقد ذهبت الى «ملوّن في زمن الحرب» للمخرج العراقي المستقل كاظم صالح، و«الدقة الرقمية في ترتيب المصحف» للمخرج المصري ايهاب ممدوح أحمد، و«انقاذ عاطفي» لمؤسسة غوتا وفرقة الفنون الفلسطينية للرقص الشعبي، و«ارث الأيدي» لشركة فوزي فيزون المغربية. أما جوائز الأفق الجديد فقد أسندت الذهبية الى فيلم «اعادة تدوير» للمخرج المصري أسامة العبد، والجائزة الفضية «لأيام بغداد» للمخرجة العراقية هبة باسم علي، أما الجائزة البرونزية فقد أسندت الى المخرج الفلسطيني أسامة قاشو. كما أن هناك جائزتين تنويهيتين خاصتين بـ«الأفق الجديد» وقد حصل عليها فيلم «حنظلة ناجي العلي» للمخرجة اللبنانية زينة زيدان، و«القطار» للمخرج المصري مهند مهنا. أما جوائز الأفلام غير العربية فقد أسندت الذهبية الى ثلاثة أفلام وهي «رسالة الى رئيس الوزراء: مذكرات جو وايلدنغ من العراق» وهو من انتاج «أفلام سنة الصفر» واخراج جوليا غيست. و«أطفال ضائعون» انتاج محطة «أي آر تي» الألمانية، واخراج علي صمدي أهادي وأوليفر ستولتز، و«لماذا نقاتل» للمخرج الأمريكي المستقل يوجين يارسكي. أما الجوائز الفضية للأفلام غير العربية فقد ذهبت الى «القريبتان» من انتاج «فيكسن فيلمز» واخراج كيم لونغينوتو وفلورنس أيسي. و«الحنين الى الأم: آسيا بعيني طفل» من انتاج التلفاز الياباني «NHK» واخراج ماريكو كاناموتو. و«أنا معك» للمخرج البولندي المستقل ماسيي آدميك. أما الجوائز البرونزية فقد حصلت عليها ثلاثة أفلام وهي «كوريا الشمالية: يوم في حياة» اخراج الهولندي بيتر فلوري، و«آخر بيت» من انتاج القناة الصينية اس أم جي الوثائقية، واخراج كيسياو لونغ، و«حياة نحياها» للمخرج البولندي المستقل ماسيي آدميك. أما جوائز الأفق الجديد فقد نال الذهبية فيلم «مدار السرطان» للمخرج المكسيكي يوجينو بولكوفسكي، بينما كانت البرونزية من نصيب فيلم «الليلة الأبدية» للمخرجة عراقية الأصل، دنماركية الجنسية رانية توفيق. وهناك ثلاث جوائز تنويهية مُنحت لفيلم «حنظلة ناجي العلي» للمخرجة اللبنانية زينة زيدان، و«القطار» للمخرج المصري مهند مهنا، و«ارث الأيدي» للمخرج المغربي حسن بوفوس. كما مُنحت جائزة خاصة لفيلم «انقاذ عاطفي» وهو من انتاج مؤسسة غوتا الفلسطينية واخراج هيلينا والدمان. بقي أن نقول أن هذا المهرجان قد ولد واقفاً على قدميه، وما هذا بمستغرب فثمة قناة محترفة، واشكالية، ومثيرة للجدل تقف خلفه، وتدفعه بقوة للتمايز والاختلاف عن المهرجانات السائدة والمألوفة.

المكرمون في مهرجان الجزيرة الثاني

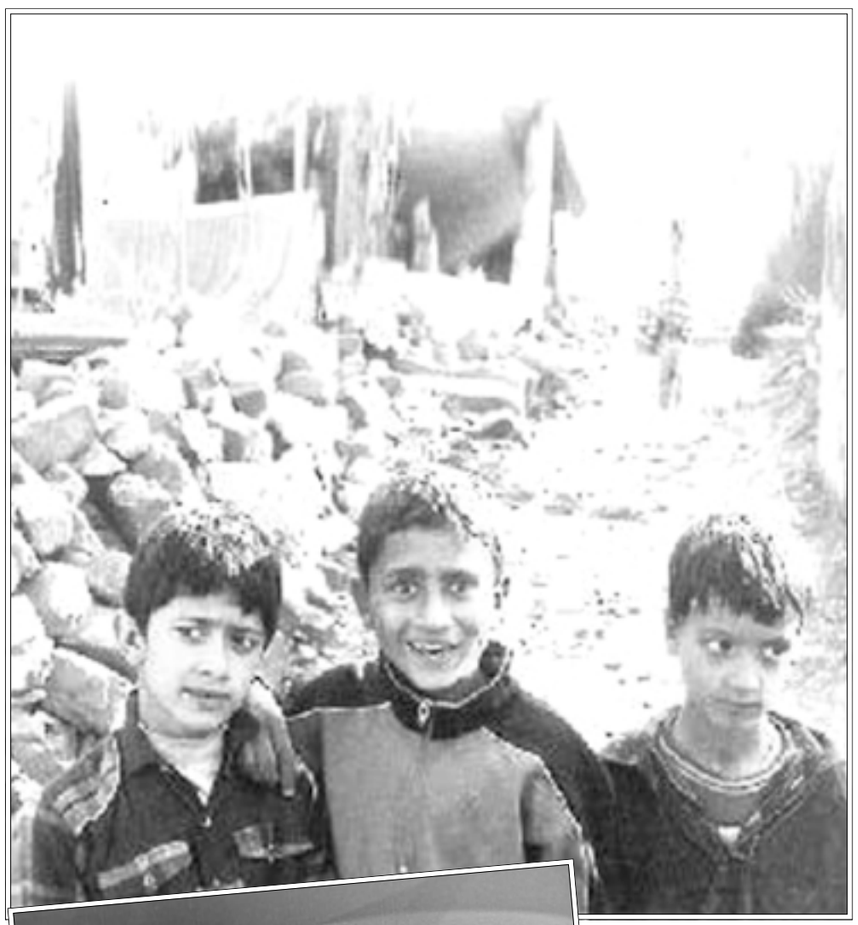

لقطة من فيلم «مكان اسمه الوطن»

مجانين المسرح الفلسطيني يغلقون شوارع رام الله بالرقص!

زياد خداش*

■ من هم هؤلاء المجانين الذين يرقصون في شارع ركب.؟؟ من أين أتوا فجأة. وكسروا قانون وجه المدينة التي تعودت على مسيرات غاضبة لا يضحك احد فيها ولا يرقص. عبثوا بروتينها وقيلولتها الرتيبة.؟؟ سأتقدم نحوهم وأراهم جيدا. اوه انهم مجانين المسرح الفلسطيني. اعرف منهم يعقوب اسماعيل وعمر جلاد وحسين نخلة وعادل ترتير واكرم المالكي وكامل الباشا. ورائد العيسة. انهم يحملون يافطة كبيرة مكتوب عليها : 27–3 اليوم العالمي للمسرح. الله. يتقافز امامهم اعضاء فرقة مسرح الشارع البهلوانية. نحن اذن طبيعيون جدا. نحب الحياة والرقص والفنون. ولا نكترث لجنود قد يقتحمون مدينتنا وشوارعنا. اتخيل مجانين المسرح هؤلاء يواجهون الجنود بالرقص والضحك والمشي المتواصل تجاه مركز خليل السكاكيني. اتخيل الجنود وهم يقفون بلهاء ومستغربين: لماذا لم يهرب هؤلاء بعيدا كما توقعنا خوفا من رصاصنا ؟؟ اين حجارتهم ؟؟ اين شعاراتهم ؟ اين شهداءهم الجاهزين ؟. اه لقد أبطل هؤلاء الماكرين مفعولنا. فنحن لم نخلق لقمع أشخاص يحبون الحياة ؟؟. مالذي يريدونه هؤلاء الغرباء الضاحكين؟؟ انهم لا يريدون شيئا. فقط هم يفرحون ويصيحون ويمشون.مسيرة فرح ورقص ومشى لا مطالب لها سوى ان يفهم الناس ان ثمة كونا اسمه مسرح يستحق ان نحتفي به. ان هناك كائنات حية تعيش بيننا تحب المسرح. تحب الحياة. وترى فيه طريقة اخرى للنضال والفهم والبناء.

امشي معهم. اتخبط في شغفي و حنيني الى شيء لا افهمه لكني احسه قريبا مني. الناس خرجوا من محلاتهم. السيارات توقفت واطل سائقوها منها. الناس ضحكوا على المجانين الرائعين : احنا في ايش وهم في ايش. الناس على حق لانهم ببساطة لا يعرفون ماذا ا تعني كلمة مسرح. انهم مشغولون في لقم العيش. المدارس في بلادنا تعتبر المسرح مثل الكافيار بالنسبة للفقراء. فهم لا يحتاجونه. فبأمكانهم العيش من دونه وكأن العيش هو ان نأكل ونشرب ونمارس الجنس ونتفرج على مسلسل السهرة لنذرف الدموع ونتطهر من ذنوبنا.. المسرحيون على حق ايضا. فليس ذنبهم انهم فهموا سر السرح وادركوا خطورته واهميته في انهاضنا من اعاقتنا الروحية. وهم يعرفون ان حب المسرح والايمان به لا يتضارب مع كون محبيه فقراء. عادل الترتير فنان فقير ماديا. لكنه يعيش المسرح. يتنفسه. يمشيه. يرقصه. ينامه. يحلمه. انا شخصيا لا استطيع ان افرق بين عادل الفنان وعادل الانسان. حين اراه يمشي في الشارع. اقول في نفسي : انه يمثل دور شخص يمشي. وحين اضبطه غاضبا . اقول في سري : انه يمثل دور رجل غاضب. اما شاربه الابيض الكثيف فارغب احيانا في نزعه اعتقادا مني انه شارب مستعار. تطلبته شخصية ما في مسرحية ما. كذلك حسين نخلة ابن ازقة الجلزون والعائش ردحا طويلا من السنين على حليب وكالة الغوث وزيت سمكه المرعب . وآخرون كثر لم تحل ظروفهم الاقتصادية من حب المسرح والثقة بقدرته على ايصالهم الى جزر معرفية وحسية ومتعوية. ضائعة في مهب ظلمات القارات الداخلية للانسان.

قال لوتريامون مرة. بما معناه : ان على كل الناس ان يصبحوا روائيين.

تخيلوا لو أحب كل الناس المسرح. وتذوقوا ناره اللينة الحلوة. وجربوا ان يمثلوا شخصيات اخرى امام انفسهم. ان يكونوا غيرهم لدقائق. لماذا يخاف الناس من المسرح ؟؟ وهو خوف رائع بالتأكيد. لماذا اخاف انا اكثيرا من حضور مسرحية ما. ألأنها تشبه يوم حساب مصغر؟؟ هل تعري عورتي . وتكشف ميلي الى غير المفهوم و المعتاد من المشاعر. تفضح رغباتي الغريبة . تزرع في دمي قشعريرة حب ومتعة لا تطاق حين تلامس فينا بقع الحنان والأمل واليأس والجنون والرعب ؟؟ هل أبدو ساذجا في خيالي هذا ؟؟ لأكن كذلك. لكني لن اتوقف عن الحلم بصوت جدي الهرم وهو يقول لي ملحا : هيا نذهب الى عشتار او القصبة فثمة مسرحية جديدة.

مسيرة المجانين ما زالت مستمرة. الان وصلوا الى مسرح بلدية رام الله المهجور. الاعناق المستغربة الضاحكة المطلة من السيارات. تشكل خلفية مفرحة للوحة المسيرة. فهذا الانفصال بين وعي الناس العاديين والمسرحيين يبدو احيانا. مثيرا وباعثا على نشوة ما غير قابلة لتفسير. ولكن مهلا الا يتناقض هذا مع رغبتي التي ذكرتها سابقا في تعميم حب المسرح ؟؟ بالتاكيد لا. فانا اعلم تماما انه لن يصبح ابدا كل الناس روائيين ولا مسرحيين

ولا شعراء. لكني احلم بذلك. وسأبقى احلم. لان في الحلم متعة لا تشبهها متعة اخرى. الحلم هنا هدف بحد ذاته. هدف لذيذ.

ينتهي بتحققه.

تواصل المسيرة رقصها وغناءها. تتقدمها فرقة مسرح الشارع . امام المجلس التشريعي . لم يكن احد باستقبالنا. وهذا طبيعي جدا لانه لو كان احد باستقبالنا لكان هناك خلل. ثم ان المجلس مشغول بمنح الثقة لحكومة جديدة. ومن هؤلاء المجانين الذين يرقصون في ساحة المجلس. ؟ حتى يشوشوا على المجلس شغله ومشاغله ؟؟ وهل الوقت وقت مسرح ؟؟ ليذهب المسرح الى الجحيم. فلدينا وطن يحتضر وعلينا انقاذه.

واو

وطن يحتضر يريدون انقاذه بأرواح معاقة ومعطلة ؟!! ارواح لا تحب المسرح. كيف نحرر وطنا ونحن لا نتقن فن الرقص ؟؟ كيف؟

تتحرك المسيرة الى مركز خليل السكاكيني. هذه المرة سأدخل. لن يقف شكل هذا المبنى المرعب كالعادة امامي عائقا امام حضور ندوات وعروض المركز الفنية والتشكيلية والادبية. طالما خفت من الاحتكاك بهذا المكان.

انه يشبه مكان اعتقال. احس حين ادخله اني امضي الى محقق سيستجوبني بعد قليل عما اضعه في جيبي وعن شكل الطريق الى البيت. وعن ضحكة حبيبتي الاخيرة في الشارع وعن نمرة حذائي ولون جواربي. في القاعة الغريبة التي تقام فيها عادة الندوات اشعر اني محبوس في زنزانة. ومشرف على مرض جلدي. لا اعرف مالذي كانته هذه القاعة قبل تحويلها الى قاعة ندوات وعروض. فالسقف واطيء جدا . هناك نوافذ غريبة منخفضة ومستطيلة ؟ وهي ليست دائرية تماما. بل اشبه بمخروط دائري ان صح تعبيري. هل اهذي؟؟ ورغم ان محمود درويش وخليل السكاكيني موجودان هنا بحميمية كبيرة فالاول لدية مكتب في هذا المبنى والثاني سمي المبنى باسمه. الا انني لا ازال اخاف شكله وغرفه و درجاته ومن صعوبة الوصول فيه الى أي مكان.

ولانني سكران تماما بهذه المسيرة الغريبة الطريفة. فقد نسيت اني في خليل السكاكيني. صعدت الى القاعة الاخيرة. الى مرضي الجلدي. الى زنزانتي. الى محققي. جلست بانتظار فقرات برنامج الاحتفال بيوم المسرح العالمي

لم اكن اعرف ان المرض الجلدي والمحقق والزنزانة سيختفون حين اسمع صوت ريم تلحمي وجميل السائح كانت ريم تجلس امامي. تحمل بيدها كأس نسكافيه. فجاة نهضت مبتسمة . مشت بضع خطوات. جلست . خلعت وجهها البشري . رمت اطرافها. لبست وجه بحر واطراف سمكة. مضت فينا الى الماء الاسود والحصان الغجري والطفل والاغنية. بعد عشر دقائق تقريبا. مدت يدها على وجهها. القت بالبحر واطراف السمكة جانبا. لبست وجهها التقطت يديها وقدميها. ركبتهما على جسمها . نهضت عن الكرسي. جلست امامي مرة اخرى. واصلت شرب النسكافيه.ابتسمت للمعجبين.

لن امارس دهشتي من جمال صوت ريم فلا جدال حول ذلك. لكن العجيب هو هذه الانتقالة المخيفة المجنونة بين عالمين مختلفين في عشر دقائق. لم افهم مالذي يحدث. كأن حلما اختطفني الى براريه ومائه وصخره وطيوره وحممه. امراة عادية تجلس امامي بشعر غجري وملابس سوداء وكأس نسكافيه وابتسامة بشرية. فجأة يختفي كل ذلك و ينفجر بحر تحت الاقدام. بحر باسماك كثيرة وملونة. طفل وحصان وماء اسود. وصوت اوبيرالي. يطيح بأنفاسنا عبر مهاوي قلاعنا. سقف السكاكيني يطير. يختفي المحققون. وتتحول الزنزانة الى عالم بلا ابواب او سقوف. بلا سجون. بلا سجانين . وتعود الكأس مرة اخرى تتمرجح بين اصابع عادية. وتجلس السمكة على كرسي مخلوع يحذرها المتفرجون من الكرسي . لكن السمكة لا تكترث. فثمة حارس يجلس خلفها هو دهشتي.

اترك مجانين المسرح. يغنون ويصيحون. اخرج الى الشارع. ويأتيني هاجس : المسرحيون ممثلين ومخرجين وراقصين قطاع اكثر شغفا وحبا للحياة و دفئا من الادباء. والشعراء. انهم يتمتعون بحس للحرية اكبر في التعبير عن فرحهم وجنونهم. وهم طبيعيون تماما وحقيقيون. حركتهم جسدانية اكثر منها لغوية. كثيرا ما حضرت ندوات وامسيات شعرية. لم اكن اجد فيها التحرر الجسماني والنفسي كما وجدته عند مجانين المسرح الفلسطيني. ثم ان الادعاء كثير في امسيات الشعراء والتكلف واضح.

والمعارك دائما جاهزة. وتنتظر شرارة ما. ولا احد يبتسم والاجساد دائما ساكتة ووحيدة ومكبوتة. وكأن الحزن اصبح ملمحا معتادا ومحببا للادباء.

الى أين سأذهب الان ؟؟

الى مقهى رام الله

سأخبر اصحابي عن مسيرة مجانين رائعين لا غضب فيها ولا رصاص

ولا شهداء

فهل سيصدقوني ؟؟

* كاتب من فلسطين

«ذكريات عن الترجمة»: كتاب جديد للمترجم دينس جونسون ديفز

مراكش ـ «القدس العربي» ـ من ابراهيم أولحيان:

صدر عن قسم النشر بالجامعة الأمريكية بمصر كتاب جديد للمترجم العالمي دينس جونسون ديفز تحت عنوان: «ذكريات عن الترجمة»، وهو مؤلف يحكي فيه الكاتب عن علاقته بالترجمة لأكثر من ستة عقود، ترجم فيها أكثر من 25 عملا من الأدب العربي المعاصر الى اللغة الانكليزية، وتحدث فيه عن كثير من التفاصيل التي عاشها مع المبدعين العرب: جبرا ابراهيم جبرا، غسان كنفاني، يحيى الطاهر عبد الله، الطيب صالح، يوسف ادريس، جمال الغيطاني،، سلوى بكر، محمد المخزنجي، عبده جبير، يحيى حقي، عبد السلام العجيلي، محمود درويش.. وغيرهم من المبدعين الذين أثروا المتخيل العربي بابداعاتهم (قصة قصيرة، رواية، مسرحية..)، هذه الابداعات التي تكلمت اللغة الانكليزية على يد مترجم كرس حياته لترجمة الأدب العربي، مما يبين حبه العميق لهذا الأدب، وللبلدان العربية، التي استقر فيها فترة كبيرة من حياته، وخصوصا مصر والمغرب، ويعيش حاليا مع زوجته الفوتوغرافية باولا كروسياني بمدينة مراكش.

«ذكريات عن الترجمة» كتاب هام وممتع، لمن يريد أن يطلع على جانب من الثقافة العربية، غير المدون، فيه المعرفي، والحميمي الذي تتفجر عبره أشياء كثيرة، تكون هامشية لكنها تحتل مكانة أساسية في سياق تطور الأدب العربي.

ولقد قدم لهذا الكتاب «ذكريات عن الترجمة» الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ بكلمة مكثفة ودقيقة جاء فيها: «انه لجميل فعلا أن تترجم أعمالك، وتقرأ وطنيا وعالميا.. انه لشيء رائع حقا. لقد تعرفت على دينس جونسون ديفز منذ سنة 1945، وأعجبت به، كان أول من ترجم عملي ـ قصة قصيرة ـ وبعد ذلك قام بترجمة مجموعة من كتبي، لذلك أدين له بالفضل، وهو في الواقع عمل الكثير من أجل ترجمة الابداع العربي المعاصر الى اللغة الانكليزية، وقد أبدع فعلا في ذلك، وكان دائم البحث عن الكتاب الجدد المتميزين، وعمل جاهدا ليس فقط في ترجمة رواياتهم ومسرحياتهم وقصصهم القصيرة وشعرهم، بل وعمل، أيضا، على ايجاد ناشرين لها.

لقد تقدمنا، نحن الاثنين، سنوات الى الأمام، منذ أن ترجم دينس قصة قصيرة لي، والآن حان الوقت، بالنسبة اليه، لأن ينظر الى الوراء، مسترجعا مسيرته الحافلة، والطويلة، وأن يحكي كيف أصبح المترجم الانكليزي الرائد للكتابة العربية المعاصرة، وأيضا أن يحكي عن بعض الكتاب الذين تعرف عليهم في مسيرته. أنا مسرور جدا أن دينس كتب هذا الكتاب المفيد، وأتمنى أن يجد القارئ نفس المتعة في قراءة الكتاب، كما وجدتها أنا عند تعرفي على هذا الكاتب منذ ستين سنة». كلمة دالة من كاتب كبير، ارتبط بدينس جونسون ديفز لأكثر من ستة عقود، وعرف، عن كثب، خبرته، وقيمة ما قدمه للأدب العربي، انه اعتراف سيسعد دينس الذي كثيرا ما صرح أن المترجم لا أحد يهتم به..

ولابد من الاشارة الى أن كتاب: «ذكريات عن الترجمة» ((2006. سيصدر مترجما الى العربية

ـ وبذلك سيعود الى أصله ـ في الأشهر القادمة، وقد قام بترجمته مترجم متخصص وهو كامل يوسف حسين سبق له أن ترجم بعض قصص دنيس، وهو الآن في اللمسات الأخيرة.. وأكيد أنه سيضيف الكثير الى ذاكرة الأدب العربي..